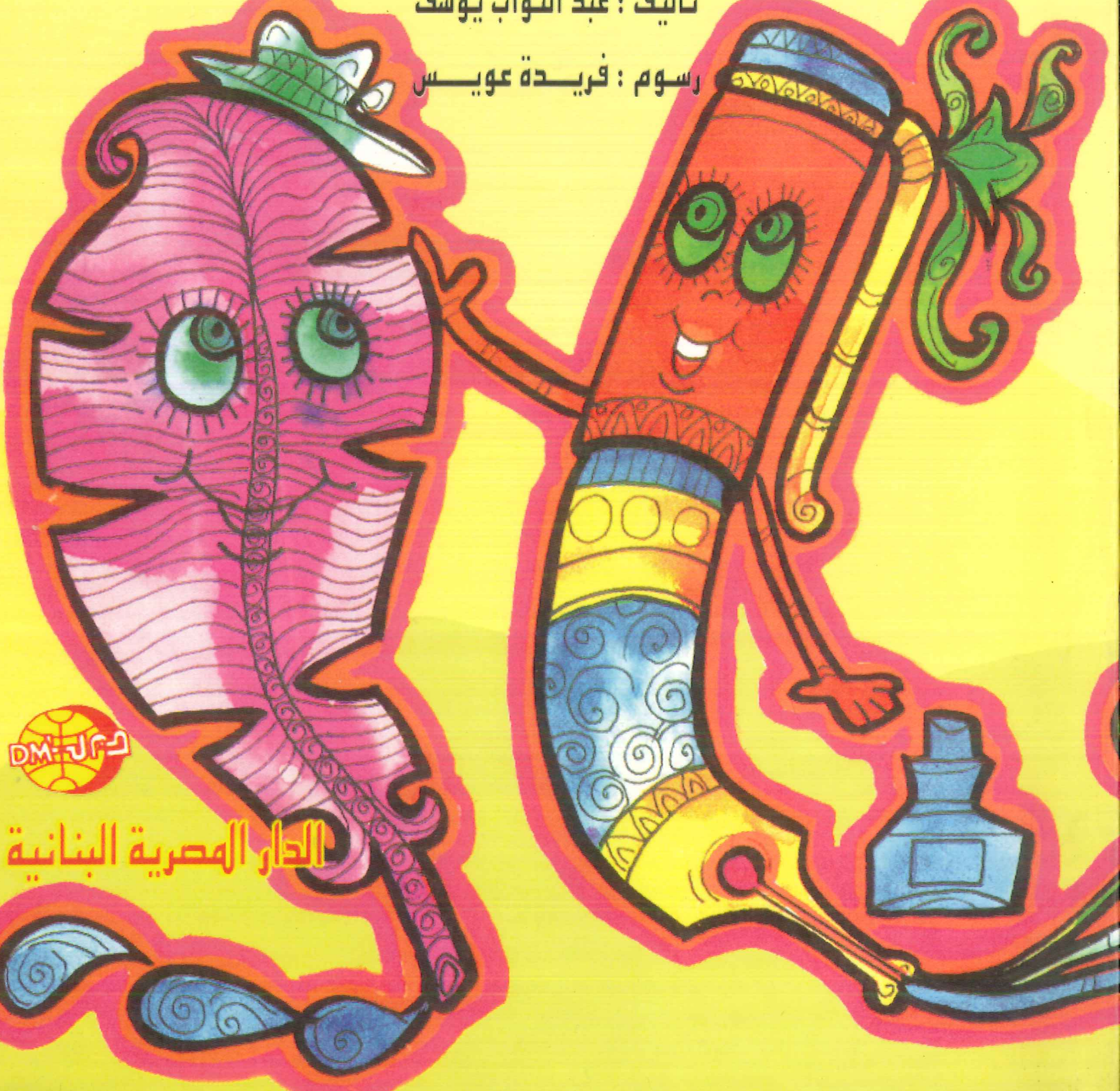


اللقاء الفريد
بين
علماء العرب
و
علماء الغرب

المعز لدين الله الفاطمى
يقابل
ووتـــرمـــان
فى القلم الحبر

تأليف : عبد التواب يوسف

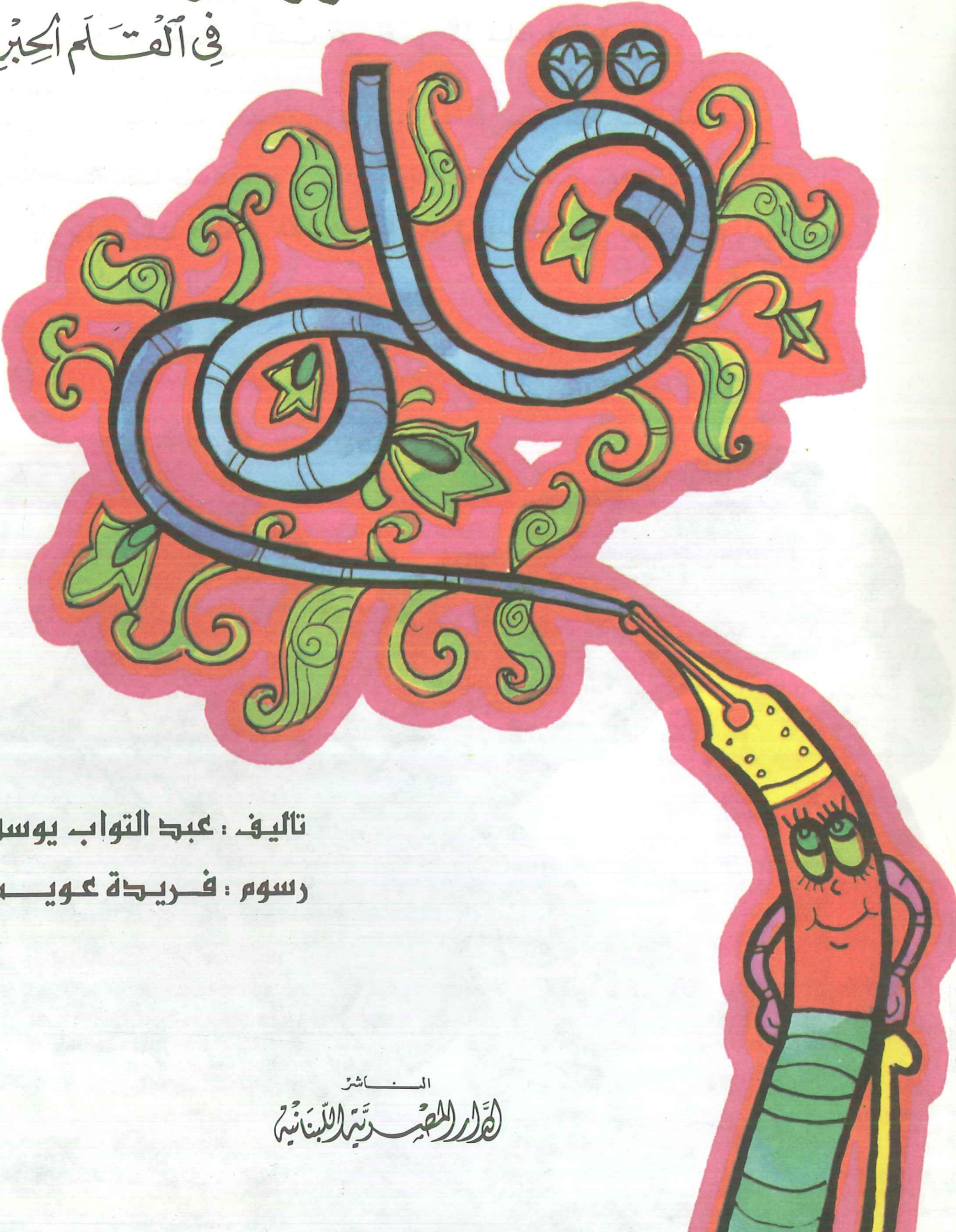
رسوم : فريـدة عويـس



الدار المصرية البنانية

اللقاء الفريد
بين
علماء العرب
و
علماء الغرب

المعز لدين الله الفاطمي
يقابل
ووترمان
في القلم الحبر



تاليف : عبد التواب يوسف
رسوم : فريدة عويس

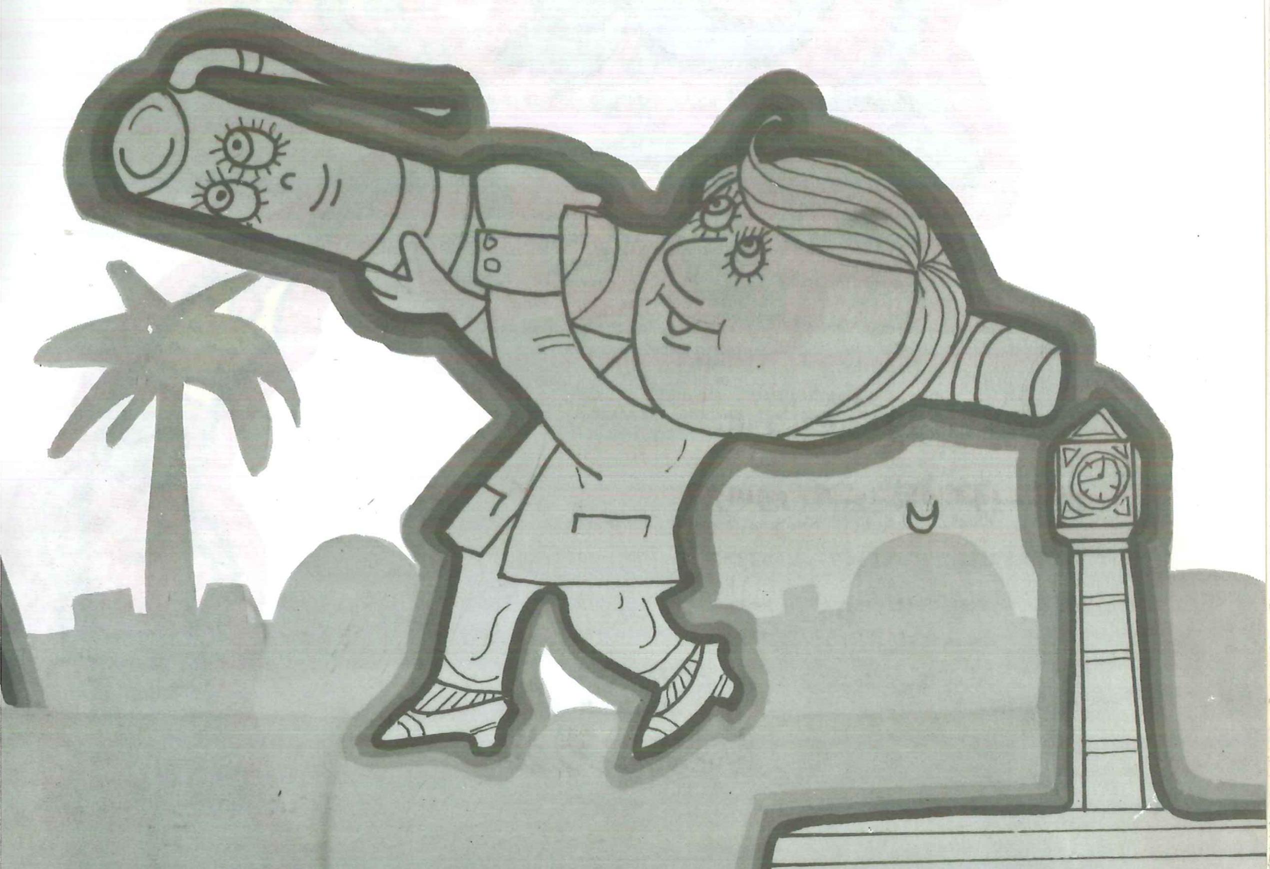
الناشر
الدار المصرية اللبنانية

قلم الحبر الذى أكتبُ به قال لى :

إننى أَرْحَلُ معك على الورق لمسافات طويلة ، وأَكتبُ عن كلّ شىء .. لماذا لا تَجْعَلنى أَكتبُ عن نفسى ؟! لماذا لا تُفكّر فى شخْصِى قليلًا ؟!

قلت له :

ــ مَعْلُوماتى عنك قليلة ، هذا هو كل ما فى الموضوع .



رَدَّ :

ــ أنت تَفْتَح دائرةَ المَعارف دائمًا بحثًا عن المعلومات ، لماذا لا تفتش على شيء عنى ؟!.

وأَسْرعت أستجِيبُ لقلمى ، لأننى أَخْشى أن يُعلنَ العصيان ، وأَخاف أَن يرفض تسجيل أفكارى وكتاباتى .. وكانت تنتظرهم فى دوائر المعارف مفاجآت عن « قلم الحبر » ..





قالت دائرةُ معارف أجنبية :

« إن أول من استخدم القلم هم أبناء مصر القديمة . كان من البُوص المُجَوف .. »

ابتَسمتُ ، فما زال الأطفال فى الكتَاتِيب يستخدمون نفس القلم ، أى أن عمره فى أيدى أبنائنا يزيد على خمسة آلاف سنة .. لقد قطعَ ملايين المَلايين من الكيلُومترات على الورق ، أو على لوح الصّفيح ، يخط الآيات



والكلمات للحِفْظ والتَّدريب على الكتابة .

واستخدَم البعض ريش الطيور كقلم .. مِن بيْنِهم الكاتب الإنجليزى « شَارلِز دِيكنْز » الذى كتب قصة « أوليفر تُويست » و« دافِيد كُوبَر فِيلد » وغيرهما ..

هل خطر لك وأنت تقرؤها أَنها كُتبت لأول مرة بِريشَة غُراب ؟! ..

وتُواصِلُ دائرةُ المعارِفِ الأَجنبيَة :



ومع عام ١٩٠٣م بدأ استِخدام القلم الصّلب ..

إنَّ أَوَّل مُحاولة لصناعة قلم يحْمِـلُ الحبر فى جَوفِـه كانت سنة ١٦٠٠م ، واستطاع « لُويس ايدِسُون ووُترمَان » أَن يقدِّمَ أَوَّل إنتاج حقيقى من أقلام الحبر فى سنة ١٨٨٤ .. ويتكون القلم من ثلاثة أجزاء : السِّن ، والخزَّان الذى يَحْتَوى الحبر ، والغِطاء .

وتَوقّفتُ ، إذ رفض قلمى أن يَسْتَمِرَّ فى الكتابة .. إنه فيما يبدو أَدْرَى منى ومن دائرة المعارف الأجنبية الحديثة فِيما يتعلّقُ بتاريخه .. وكان



لابُد أَن نرجع إلى مصادر عربيّة قديمة .. وتَذكّرْتُ فى هذه اللحظة أن للقلم مكانة عظيمة عند المُسلمين ، فقد أَقْسَم به الله سبحانه وتعالى بِقَوله ..

﴿ «ن» والقَلم ، وما يسطرون ﴾ ..

وتقول دائرة معارف عربية :

« كان القلم عند المسلمين رمزًا للخدمات المَدنِيَّةِ ، فى مُقابِل

السَّيْفِ الذى يَرْمُز للخدمات العَسْكرِيَّة ... » .. أى كان القلم يرمُزُ للسَّلام .. وقد نجح العرب فى صناعة القلم الحبر ذِى الخَزَّان ..

لكن : مَن صنعه ؟! .. لَمْ تَذكُر دائرة المعارف اسمه .. وكان لابد أن أبحث عنه .. وعثرتُ فى تاريخ الفاطميِّين على ذِكرٍ لهذا القلم ..

وعندما بدأْتُ أقرأُ مَا وجدتُه ، برزتْ لى صورة المعزِّ لدين الله الفاطمى .. وهمسَ قائلًا :



« كان عندنا القلم ، وكان عندنا المِدَاد بألوَانِه .. وكلٌّ من القلم والمِداد مُنْفَصِلٌ عن الآخر حتى عام ٩٥٥م ، حين فكّرتُ فى أَن أجمع بينهما ..

قلت له : ماذا ؟!.. إنها فكرة « وُوترمان » توصَّل إليها منذ أَقل من مائة عام فقط .. وهُو أمريكى ، نجح فى .....

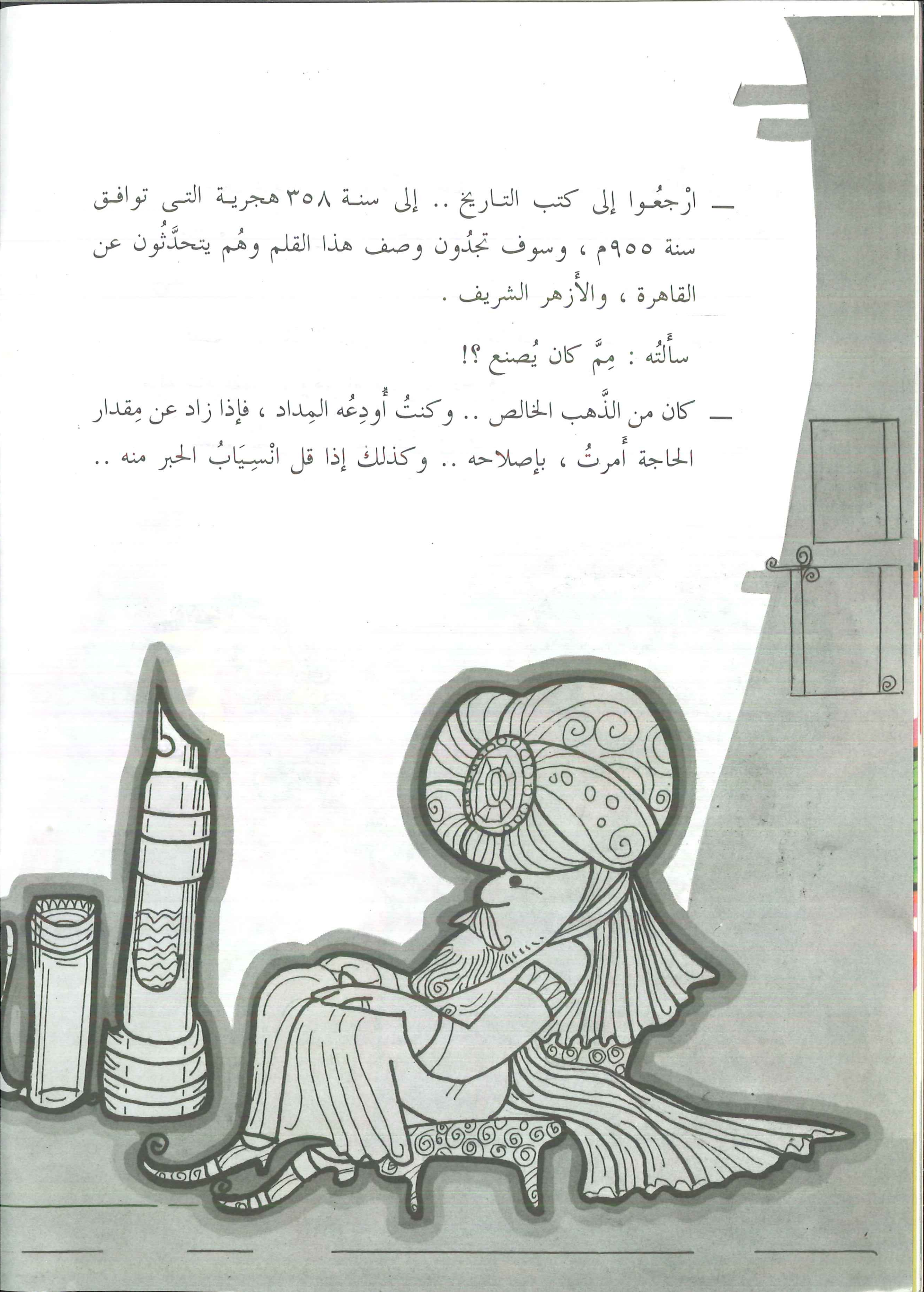
ابتسم المُعِز لدين الله وقال فى هدوء :



ـ ارْجعُوا إلى كتب التاريخ .. إلى سنة ٣٥٨ هجرية التى توافق سنة ٩٥٥م ، وسوف تجدُون وصف هذا القلم وهُم يتحدَّثُون عن القاهرة ، والأزهر الشريف .

سأَلتُه : مِمَّ كان يُصنع ؟!

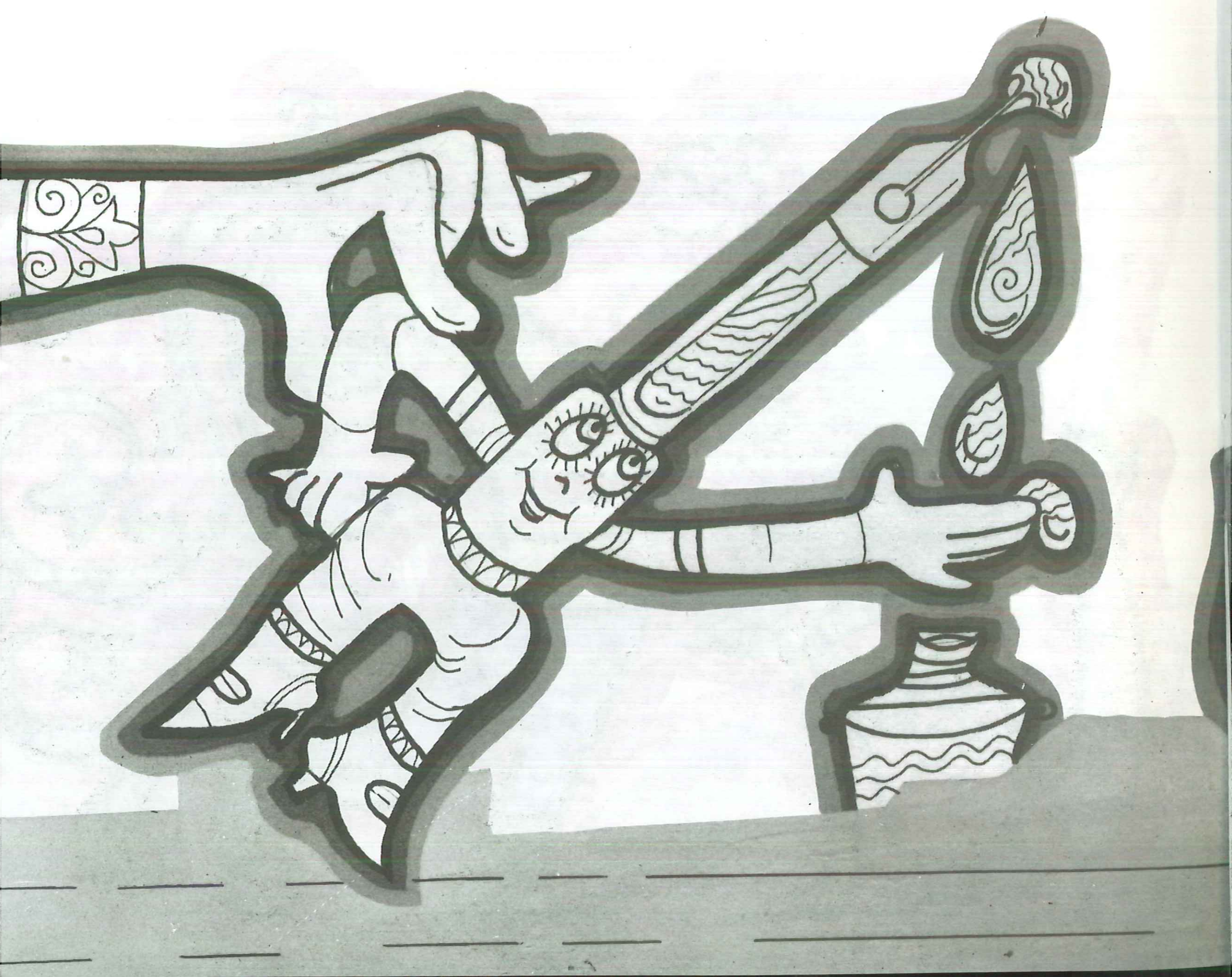
ـ كان من الذَّهب الخالص .. وكنتُ أُودِعُه المِداد ، فإذا زاد عن مِقدار الحاجة أَمرتُ ، بإصلاحه .. وكذلك إذا قل انْسِيَابُ الحبر منه ..



وكان فى استِطاعة الكاتب به أن يَقْلِبَهُ بيده ، ويُمِيلَه إلى كلِّ ناحية ، دُون أن تنْسَكِب منه قَطرة حبر واحدة .. وإذا رفعه عن الورق أَمْسَك عن أن يَنْسَاب منه الحبر ...

هتف القلم : سَجِّلْ هذه المَعلومات !

امتدّت يدى إلى قلمى ورُحت أَكتب كل ما قاله المعز لدين الله ... كان القلم يَجْرِى على الورق كأَنَّما يرقُص فى فَرَحٍ .. إنه يريد للناس أن



يعرفوا تاريخه الحقيقىّ ، وأنه يَنْتَسِبُ إلى « العرب » ، لا إلى ذلك الأَمريكى « وُوترمان » الذى اشتهر بصناعة أقلام الحبر ..

وتَحَدَّثْتُ فى هذا الشأن مع صديقى الدكتور حسين سليمان .. وهو مُتَخَصِّصٌ فى تاريخ « دمشق » فقال لى :

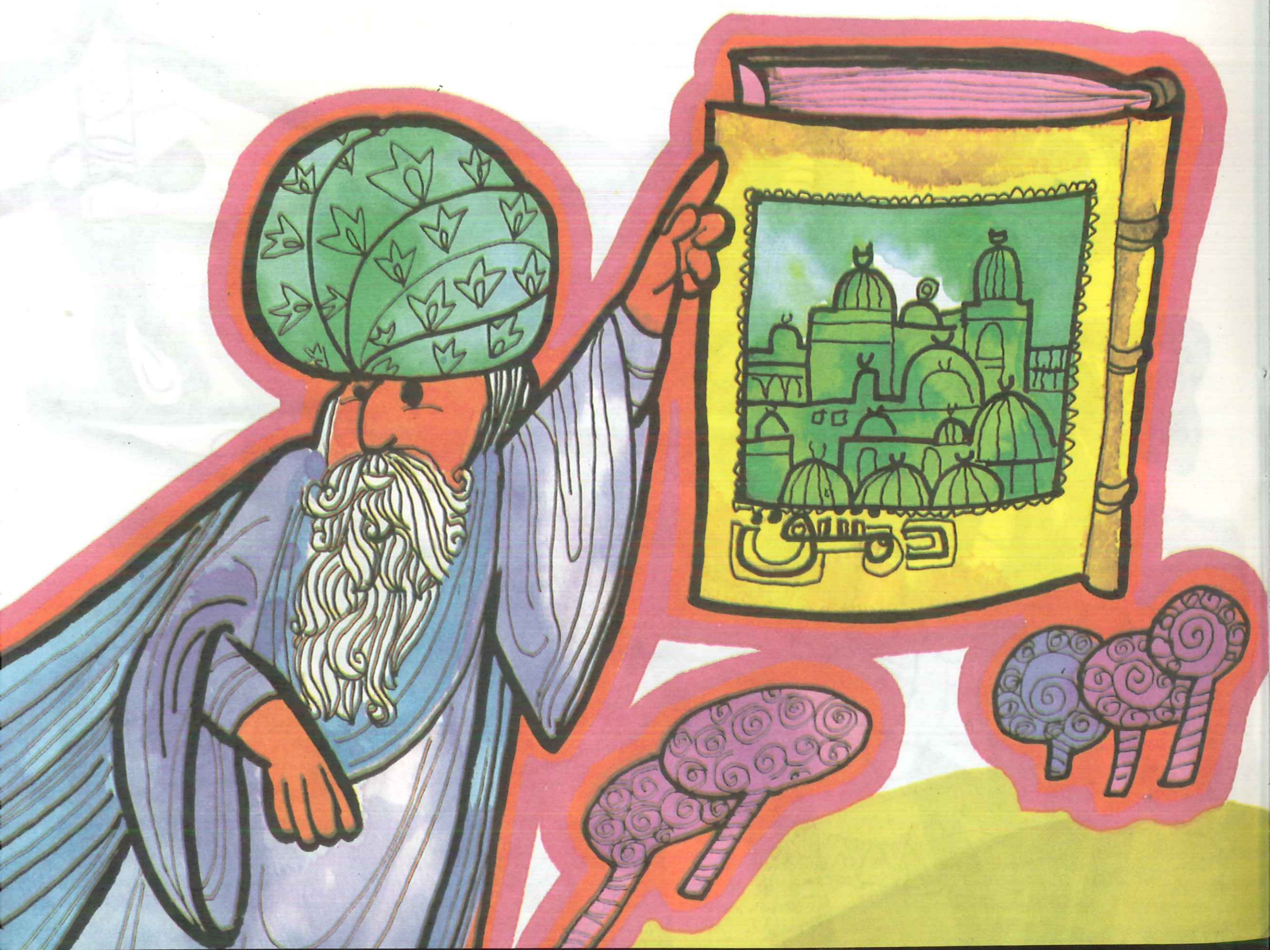
ــ المُؤَرِّخُ العَربى الكبير ابْن عَسَاكر أَشار إلى قلم الحبر فى واحدٍ من أجزاء كتابه الضَّخم عن « دمشق » ..



وقلب صفحات الكتاب ، وهى بالأُلُوف ، وعاد يقول :

– عثرتُ فى الجزء السادس ، فى صفحة ٣٦٠ فى ترجمة « صَاعِد بن الحَسَن » المعروف بزعيم الدولة على ما يلى :

« إنه كان يُغْرِب فى أَشياء يخترِعُها – أى كان يخترع الغرائب والعجائب – وكان مِمَّا اخترعَه « قلم الجاف » وهو أُنبُوب القصب أو الغاب – كان يملأُ القلم مدادًا يُسْتَخْدَمُ قريبًا من شهر ،



لا يَجِف .. أى لا يَنْشَف !

ابتسم قلمى فى ارتياح ، ورأَيْتُه يخُطُّ على الورق ..

ــ أَنا للعرب أَنتسِب !

وابتسمت أَنا .. ليس غريبًا أن يبتكر العرب مثل هذا القلم ، وحاجتهم له شديدة لتَسْجيل علومهم ومعارفهم ، لكنّ المصانع لم تُنْتِجه



بِوَفْرة إلا منذ مائة عام .. بل إن المصانع لم تُنْتِج القلم الجاف إلا سنة ١٩٤٤م ..

وإذا كان للعَرب فضلُ ابتكار القلم ، فإننا نقول : إن القلم أَدَاةٌ ..

والعَرب مُطالبُون -اليوم- بأن يُحْسِنُوا استخدام القلم ، لكى يُسَجِّلُوا به ثمرات الفكر والعلم ، وليكتبوا به أفضل الكتب ...



